

دمية القصر

ارتبطه صاحب نظام الملك حرساً دولته لحسن خطّه وفوّز قِـدحه من الأدب ووفور قسطه .
فلم تُنفّسْهُ المُدَّة ولا نفعته العُدَّة حتى انتقل إلى جوار ربّه . ورأيتُ في
الخزانة النظامية بنيسابور ديوان شعره بخطّ يده كان المِعْرَض أحسنَ من لابسِه . وكانت
آثار بَنانِه مُغطّيةً لعَوَرات بيانه . فممّا زَتَفْتُهُ من قصائده قوله :
دُمىً تركُنَ فُوّادي دائماً وَلَـيْهاً ... لَمّا تولّتْ بها أحداجُها عُصْبا .
يا ناقُ هل تدرين من سكنتُ ... وراءَ حِدْجِكَ إذ عالوا به القَتَبَا .
ومنها في المدح :

لما وَرَدْتُ أزال اللوح موردُهُ ... ونلتُ منه الذي قد كنتُ مُرتقِبا .
هَبَّتْ عليّ شَمالٌ من شمائلِه ... فأنشأتُ لي غماماً يُمطر الذّـهبا .
ورأيتُ في ديوان شعره هذه التجنيسات وما عليها طَـلاوة ولا لها طَـراوة ولا فيها حَـلاوة :
لَعَمْرُكَ ما كَفَى بقُفْلٍ على الفتى ... ولا عابِسُ وجهي إذا الضيفُ لاقاني .
ولم تخْلُجِ الدنيا هَـوايَ وحُسْنُها ... بأخضر رِفّافِ الحواشي ولاقانِ .
ولم يستطع أعوادَ عِزِّي مُرتقٍ ... ولا شِعْثَ التشذيبِ نَبْـعِي ولاقانِ .
وُجودي وإبقائي على قبّة العُـلا ... هُـما دونَ هذا الخلقِ أجمعَ لاقانِ .
وله :

سَلَّـى بنفسي عن الدنيا وبَـهجتِها ... أني أرى فانياً منه تَـلافانِ .
والصبرُ أحمدُ ما أُوتيتَ من خُـلاقٍ ... ما كنتُ في شِدَّةٍ إلّا تَـلافاني .
وله :

حَسبيّ اِـقْ في الأمور وكَيْلاً ... إنّه في الخُطوب نِـعمَ المَعينُ .
ثِقَتِي والرّضى بما قد قَضاهُ ... روضةُ طَـلاّةٍ وماءُ مَعينِ .
ومن أعيان شعره قوله :

أَقمتُ بأرضِ جِـلانٍ زماناً ... ولم يكُ ذاكَ منّي غيرَ جهلٍ .
فلم أحصِلْ على خيرٍ مُتَـاحٍ ... سوى سحّ الغُـيُوثِ وخَـوضِ وَحَلٍ .
أصادفُ كلاًّ ما لامستُ رَـطَباً ... كأني منه في زمنِ الفِـطَـاحِلِ .
وله أيضاً :

أَهاجَتِكَ وُـرُقُ رُحْنٍ في الأيكِ وُقّـعَا ... يَنـدُحْنَ وما يُذْـرِـينَ للشّـجّـو أَدْمُعا .
فذكّرْنا العهدَ القديمَ وهجُنّا ... وطَرّـيـنَ قلباً كانَ بالغِـيّ موزعا .

عَلَّتْ فَذَنَّا يَهْتَرُّ تَذْدُبُ إِلْفَهَا ... فَأَبَكْتُ وَمَا تَدْرِي الْحَزِينَ الْمُفَجَّعَا .
تُذَكِّرُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلِيَالِيَا ... وَشَخَّ شَبَابٍ بَانَ مِنْهُ فودَّعَا .
وله يهجو بوَّابًا لبعض الكبار :

صارَ ذا البوَّابُ مَحْنَه ... مَا نَرِي مِنْ غَيْرِ إِحْنَه .
كَلَّمَا جِئْتُ كَأَنِّي ... عِنْدَهُ صَاحِبُ طِنْنَه .
مُؤَمَّعٌ عَنْ قَوْلِي فَلَمْ يَأْ ... ذَنْ أَصْمَّ أَقْ أُوذْنَه .
وله أيضًا :

أَقُوِّعِدُنِي عَنْكَ عَارِضٌ عَرَضًا ... طَوَّعَنِي فِي مَبِيتِي الْمَضَضَا .
مَا قَرَّ جَنَّبِي عَلَى الْفِرَاشِ لَهُ ... كَأَنَّ حَشْوَةَ الْفِرَاشِ جَمْرُ غَضَا .
وَشَرُّ حَالٍ لَمَنْ تَوَمَّلْهُ ... حَالُ غَرِيبٍ يُكَابِدُ الْمَرَضَا .
وله أيضًا :

حَاشَا لِعَهْدِكَ أَنْ يَكُونَ ذَمِيمًا ... وَلِمَنْ أَحْبَبَّكَ أَنْ يَكُونَ مُلِيمًا .
إِنِّي أَرَى سَفَهَا تَسْرُّعَ عَازِلِي ... وَأَرَى الْهُوَى خَطْبَاً عَلِيَّ ذَمِيمًا .
وَأُنْشِدُنِي الشَّيْخَ أَبُو عَامِرٍ الْجُرْجَانِي لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

سَقَى خَدَّيْ دُمُوعِي يَوْمَ سَارُوا ... بِمَاءٍ فِي الضُّلُوعِ لَهُ شَرَارُ .
رَأَيْنَا الْجُودَ مِنْ كَفِّكَ عَيْفًا ... وَعِنْدَ سِرْوَاكَ شَاهِدُهُ ضِمَارُ .
وَشِمْنَا مِنْ يَدَيْكَ سَمَاءَ نَيْلٍ ... لِبَارِقِهَا عَلَى الْأُفُقِ اسْتِعَارُ .
تَرُودُ حَدَائِقًا كَاللَّيْلِ غُلْبًا ... تُنِيلُ وَمَا لَوَاعِدِهَا إِبَارُ .
أَسَمْنَا سَرَدَنَا فِيهِنَّ هَزَلَى ... فَجَاءَتْ وَهْيَ مُطَّعَمَةٍ شِيَارُ .
نَزَعْنَا عُذْرَهَا ضُرًّا فَجَاءَتْ ... عَوَاصِي لَيْسَ يَضِيطُهَا عِذَارُ .

محمد بن بحر بن حَمْدٍ الْخَيْرِي